بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

حَيْثُ أَنَّهُ قَدْ سَبَقَ لِي وَأَخْرَجْتُ رِسَالَةً حَوْلَ (**صَلَاةِ العَصْرِ**)؛ أَسْمَيْتُهَا: (**عَظِيمِ الأَجْرِ لِشُهُودِ صَلَاةِ العَصْرِ**)، فَلِذَا رَأَيْتُ أَنْ أَكْتُبَ رِسَالَةً أُخْرَىٰ حَوْلَ (**سُورَةِ العَصْرِ**)؛ وَذَلِكَ لِـمَا فِي هَذِهِ السُّورَةِ العَظِيمَةِ المُثْقَلَةِ بِالمَعَانِي، الحُبْلَىٰ بِالقَضَايَا الخَطِيرَةِ، ذَاتِ الجَوِّ الخَاصِّ؛ الَّتِي بَيَّنَتْ لَنَا طَرِيقَ النَّجَاةِ مِنَ الخُسْرَانِ، وَالفَوْزِ بِالرِّضْوَانِ؛ مِمَّا جَعَلَ العُلَمَاءَ يَقِفُونَ أَمَامَهَا طَوِيلًا، وَقَدْ قَالَ **الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: إِنَّهَا سُورَةٌ لَوْ لَمْ يَنْزِلْ إِلَىٰ النَّاسِ إِلَّا هِيَ لَكَفَتْهُمْ، وَهُوَ مَعْنَىٰ قَوْلِ غَيْرِهِ أَنَّهَا شَمَلَتْ جَمِيعَ عُلُومِ القُرْآنِ.

وَقَدْ طُفْتُ بِكُتُبِ (**التَّفْسِيرِ**) المُخْتَلِفَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الكُتُبِ؛ لِأَلْتَقِطَ بَعْضَ هَذِهِ المَعَانِي السَّامِيَةِ وَالعَظِيمَةِ لِهَذِهِ (**السُّورَةِ**) وَأَنْقُلُهَا لِقَارِئِي العَزِيزِ؛ فَكَانَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ:

(أَرِيجُ الزَّهْرِ حَوْلَ مَعَانِي سُورَةِ الْعَصْرِ).

فَأَسْأَلُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ -بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ وَإِحْسَانِهِ- أَنْ أَكُونَ قَدْ وُفِّقْتُ إِلَىٰ أَنْ أَصِلَ إِلَىٰ بَعْضِ هَذِهِ المَعَانِي الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا هَذِهِ السُّورَةُ العَظِيمَةُ!

كَتَبَهُ/ **مَجْدِي قَاسِم**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾
إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَمْهِيدٌ

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ (سُورَة العَصْر).

* عَنْ **أَبِي مَدِينَةَ الدَّارِمِيِّ**[1] -وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ- قَالَ:[2] كَانَ الرَّجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «إِذَا الْتَقَيَا لَمْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَقْرَأَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾، ثُمَّ يُسَلِّمَ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ».

وَهَذَا يَكْشِفُ لَنَا عَنْ دَرَجَةِ التَّقْدِيرِ الَّتِي حَظِيَتْ بِهَا هَذِهِ السُّورَةُ.

إِنَّهُ يَقْرَأُهَا تَذْكِرَةً وَتَنْبِيهًا لأَخِيهِ الْمُسْلِمِ عَلَى الوَاجِبِ الْمُتَرَتِّبِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَعَلَى الأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ.

---

(١) قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: «اسْمُ أَبِي مَدِينَةَ: عَبْدُ اللهِ بْنُ حِصْنٍ».

(٢) رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (ح ٥١٢٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي شُعَبِ الإِيمَانِ بِنَحْوِهِ (٦/ ٥٠١ ح ٩٥٠٧).
وَأَوْرَدَهُ الهَيْثَمِيُّ فِي "مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ" (ح ١٧٧٢٣)؛ وَقَالَ: « رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ». وَأَعَادَهُ (ح ١٨١٩٨)؛ وَقَالَ: «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ؛ غَيْرَ ابْنِ عَائِشَةَ وَهُوَ ثِقَةٌ». وَقَالَ الطَّبَرَانِيُّ: «لَا يُرْوَى هَذَا الحَدِيثُ عَنْ أَبِي مَدِينَةَ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ: حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ». وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ؛ انْظُرِ الصَّحِيحَة: (ح ٢٦٤٨).

قَالَ **الأَلْبَانِيُّ**:(١) وَفِي هَذَا الحَدِيثِ فَائِدَتَانِ مِمَّا جَرَىٰ عَلَيْهِ عَمَلُ سَلَفِنَا رضي الله عنهم جَمِيعًا:

إِحْدَاهُمَا: التَّسْلِيمُ عِنْدَ الاِفْتِرَاقِ، وَقَدْ جَاءَ النَّصُّ بِذَلِكَ صَرِيحًا مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(٢) «**إِذَا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى المَجْلِسِ؛ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ؛ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الْأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الْآخِرَةِ**».

وَالأُخْرَى: نَسْتَفِيدُهَا مِنِ الْتِزَامِ الصَّحَابَةِ لَهَا؛ وَهِيَ قِرَاءَةُ سُورَةِ ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾، لأَنَّنَا نَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْ أَنْ يُحْدِثُوا فِي الدِّينِ عِبَادَةً يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى اللهِ؛ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِتَوْقِيفٍ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا أَوْ تَقْرِيرًا.

وَلِمَ لَا؛ وَقَدْ أَثْنَى تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَيْهِمْ أَحْسَنَ الثَّنَاءِ؛ فَقَالَ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ (التَّوْبَة/١٠٠).

وَقَالَ **ابْنُ مَسْعُودٍ وَالحَسَنُ البَصْرِيُّ**: "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الأُمَّةِ قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا وَأَحْسَنَهَا حَالًا، قَوْمًا اخْتَارَهُمُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِقَامَةِ دِينِهِ، فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ، وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الهَدْيِ المُسْتَقِيمِ". أ.هـ.

❁❁❁❁❁❁

وَقَدِ اخْتَلَفَ العُلَمَاءُ: هَلْ هِيَ (مَكِّيَّةٌ) [أَيْ: نَزَلَتْ فِي مَكَّةَ] أَمْ هِيَ (مَدَنِيَّةٌ) [أَيْ: نَزَلَتْ فِي المَدِينَةِ]؟

---

(١) فِي "السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ" (ح ٢٦٤٨).

(٢) رَوَاهُ الحُمَيْدِيُّ (١١٦٢)، وَأَحْمَدُ (٢/ ٢٣٠، ٢٨٧، ٤٣٩)، وَالبُخَارِيُّ فِي الأَدَبِ المُفْرَدِ (ح ٩٨٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (ح ٥٢٠٨)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٧٠٦)، وَالنَّسَائِيُّ فِي عَمَلِ اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ (ح ٣٤٢، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١).

* فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَابْنُ الزُّبَيْرِ، وَعَلَيْهِ الْجُمْهُورُ: أَنَّهَا مَكِّيَّةٌ.
وَقَالَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَمُقَاتِلٌ: هِيَ مَدَنِيَّةٌ.

* وَهِيَ ثَلَاثُ آيَاتٍ؛ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ، وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فِي رَأْسِ آيَتَيْنِ؛ وَهُمَا:
﴿وَٱلْعَصْرِ﴾، عَدَّهَا الجَمِيعُ إِلَّا المَدَنِيَّ الأَخِيرُ آيَةً.
وَعَدَّ المَدَنِيُّ الأَخِيرُ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ آيَةً وَلَمْ يَعُدَّهَا غَيْرُهُ.

* وَهِيَ إِحْدَىٰ أَقْصَرِ ثَلَاثِ سُوَرٍ، كُلٌّ مِنْهُمْ ثَلَاثُ آيَاتٍ؛ وَهُمْ:
(العَصْر)؛ وَهِيَ أَرْبَع عَشْرَةَ (١٤) كَلِمَةً. وَعَدَدُ حُرُوفِهَا سَبْعُونَ (٧٠) حَرْفًا.
وَ(النَّصْر)؛ وَهِيَ تِسْع عَشْرَةَ (١٩) كَلِمَةً. وَعَدَدُ حُرُوفِهَا تِسْعَةٌ وَسَبْعُونَ (٧٩) حَرْفًا
وَ(الكَوْثَر)؛ وَهِيَ عَشْرُ (١٠) كَلِمَاتٍ. وَعَدَدُ حُرُوفِهَا اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ (٤٢) حَرْفًا.

* أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ مَيْمُونٍ قَالَ: شَهِدتُ عُمَرَ حِينَ طُعِنَ فَأَمَّنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَقَرَأَ بِأَقْصَرِ سُورَتَيْنِ فِي الْقُرْآنِ: بِـ(العَصْرِ)، وَ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ﴾ (سُورَة النَّصْر) فِي الْفجْرِ.

* الصِّلَةُ بَيْنَ سُورَةِ (العَصْرِ) وَبَيْنَ مَا قَبْلَهَا سُورَة (التَّكَاثُر) ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ (التَّكَاثُر/ ١)، وَمَابَعْدَهَا سُورَة (الهُمَزَة) ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ (الهُمَزَة/ ١):[1]
- عَلَاقَتُهَا بِالسُورَةِ الَّتِي قَبْلَهَا سُورَةِ (التَّكَاثُر):

(١) وَهَذَا يَدْخُلُ تَحْتَ عِلْمِ "تَنَاسُب الآيَاتِ وَالسُّور"، وَهُوَ وَاحِدٌ مِنْ مِنَ العُلُومِ الهَامَّةِ الَّتِي تَنْدَرِجُ فِي "عُلُوم القُرْآنِ".

يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ (التَّكاثر: ١-٨).

وَقَعَتْ سُورَةُ (التَّكَاثُر) [﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾] مَوْقِعَ العِلَّةِ لِخَاتِمَةِ مَا قَبْلَهَا، كَأَنَّهُ لَـمَّا قَالَ هُنَاكَ ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ (القارِعَة/ ٩)، قِيلَ لِمَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ لِأَنَّكُمْ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ (التَّكاثر/ ١)؛ فَاشْتَغَلْتُمْ بِدُنْيَاكُمْ وَمَلَأْتُمْ مَوَازِينَكُمْ بِالآثَامِ، وَلِهَذَا عَقَّبَهَا بِسُورَةِ ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ المُشْتَمِلَةِ عَلَىٰ أَنَّ الإِنْسَانَ ﴿لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾؛ بَيَانٌ لِخَسَارَةِ الدُّنْيَا وَنَمَاءِ تِجَارَةِ الآخِرَةِ، وَلِهَذَا عَقَّبَهَا بِسُورَةِ (الهُمَزَة) ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ (الهُمَزَة/ ١) المُتَوَعِّدِ فِيهَا ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ (الهُمَزَة/ ٢، ٣)، فَانْظُرْ إِلَىٰ تَلَاحُمِ هَذِهِ السُّوَرِ الأَرْبَعِ وَحُسْنِ اتِّسَاقِهَا.

بَعْدَ أَنْ تَوَعَّدَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي سُورَةِ (التَّكَاثُر) [﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾] المُعْرِضِينَ المُعَانِدِينَ بِعَذَابِ الجَحِيمِ الَّتِي سَيُعَايِنُونَهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلُوهَا؛ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي هَذِهِ السُّورَةِ سُورَةِ ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ سَبِيلَ النَّجَاةِ مِنْ هَذَا الخُسْرَانِ المُبِينِ الَّذِي يَنْتَظِرُ الكُفَّارَ المُعَانِدِينَ وَالفَسَقَةَ المُعْرِضِينَ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ تَضْيِيعَ الأَوْقَاتِ وَتَبْدِيدَ الأَعْمَارِ فِي (التَّكَاثُر) بِالأَمْوَالِ وَالبَنِينَ وَالتَّفَاخُرَ بِالأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، وَالِانْشِغَالَ بِتِلْكَ الأَعْرَاضِ الزَّائِلَةِ عَنِ الحَقَائِقِ الجَوْهَرِيَّةِ؛ هُوَ أَعْظَمُ الخُسْرَانِ.

وَإِذَا كَانَتْ نِهَايَةُ الإِنْسَانِ إِلَى الجَحِيمِ فَهُوَ أَخْسَرُ الخَاسِرِينَ؛ حَتَّى وَلَوْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِنَ المُنَعَّمِينَ المُتْرَفِينَ، فَلَسَوْفَ يَنْسَى حِينَ يُعَايِنَ العَذَابَ كُلَّ مَا مَرَّ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ مُتَعٍ وَمَلَذَّاتٍ، لَكِنَّهُ سَيُسْأَلُ عَنْهَا، وَيَتَحَسَّرُ عَلَى تَقْصِيرِهِ فِي شُكْرِ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِهَا.

فَالخَاسِرُ هُوَ الَّذِي خَفَّتْ مَوَازِ نُهُ وَأُلْقِيَ بِهِ فِي (الهَاوِيَةِ).

وَالخَاسِرُ هُوَ الَّذِي ضَيَّعَ الأَوْقَاتِ فِي التَّفَاخُرِ بِالأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ وَفِي التَّنَافُسِ عَلَى تَكْثِيرِ الثَّرَوَاتِ، وَفِي التَّبَاهِي بِكَثْرَةِ البَنِينِ وَالبَنَاتِ، وَفِي الاِنْشِغَالِ بِالنَّعِيمِ عَنِ المُنْعِمِ، ذَاكَ هُوَ الخُسْرَانُ العَظِيمُ الَّذِي يَصْلَى بِهِ صَاحِبُهُ نَارَ الجَحِيمِ، وَكَيْفَ لَا يَخْسَرُ مَنْ ضَيَّعَ الأَزْمَانَ بَعِيدًا عَنِ الإِيمَانِ؟ كَيْفَ لَا يَخْسَرُ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَأَقْبَلَ عَلَى العِصْيَانِ؟ كَيْفَ لَا يَخْسَرُ مَنْ لَمْ يَتَوَاصَ بِالحَقِّ وَالصَّبْرِ؟ كَيْفَ لَا يَخْسَرُ مَنْ ضَيَّعَ العُمْرَ فِي الهَمْزِ وَاللَّمْزِ، وَالجَمْعِ وَالعَدِّ؟ كَيْفَ لَا يَخْسَرُ مَنْ عَلَّقَ الآمَالَ العِرَاضَ عَلَى الأَمْوَالِ الطَّائِلَةِ؟ -وَقَدْ قِيلَ (الأَمَانِي بِضَاعَةُ المَفَالِيسِ)-، حُقَّ لَهُ أَنْ تَخِفَّ مَوَازِ نُهُ وَيُعَايِنَ الجَحِيمَ وَيَخْسَرَ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَتَحَطَّمَ آمَالُهُ العِرَاضُ وَتَتَبَدَّدَ أَمَانِيهِ العِذَابُ وَيُنْبَذَ فِي (الحُطَمَةِ) بَعْدَ أَنْ نَبَذَ الحَقَّ وَأَهْلَهُ مِنْ أَجْلِ المَالِ؛ فَكَانَ الجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ.

وَمِنْ وُجُوهِ المُنَاسَبَةِ أَيْضًا أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ فِي سُورَةِ **(التَّكَاثُرِ)** أَنَّ الاِشْتِغَالَ بِالدُّنْيَا وَزَخَارِفِهَا أَمْرٌ مَذْمُومٌ؛ بَيَّنَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ سُورَةِ ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ مَا يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِهِ مِنَ الإِيمَانِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ وَالتَّوَاصِي بِالحَقِّ وَالصَّبْرِ.

وَلَمَّا كَانَتْ لَذَّةُ هَذِهِ الدُّنْيَا الظَّاهِرَةِ التَّنَعُّمِ بِمَا فِيهَا مِنَ المَتَاعِ، وَكَانَ الإِنْسَانُ مَسْؤُولًا بِمَا شَهِدَ بِهِ؛ خَتَمَ سُورَةَ **(التَّكَاثُرِ)** عَنْ ذَلِكَ النَّعِيمِ مُتَوَعِّدًا بِرُؤْيَةِ الجَحِيمِ، فَكَانَ (الإِنْسَانُ) سَاكِنُ هَذِهِ الدَّارِ عَلَى غَايَةِ الخَطَرِ، فَكَانَ نَعِيمُهُ فِي غَايَةِ الكَدَرِ، قَالَ دَالًّا عَلَى

ذَلِكَ بِأَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ هَالِكٌ، مُؤَكِّدًا بِالقَسَمِ وَالأَدَاةِ لِـمَا لِلأَغْلَبِ مِنَ التَّكْذِيبِ لِذَلِكَ إِمَّا بِالمَقَالِ أَوْ بِالحَالِ.

أَوْ: لَـمَّا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ (التكاثر/١) وَتَضَمَّنَ ذَلِكَ الإِشَارَةَ إِلَىٰ قُصُورِ نَظَرِ الإِنْسَانِ وَحَصْرِ إِدْرَاكِهِ فِي العَاجِلِ دُونَ الآجِلِ الَّذِي فِيهِ فَوْزُهُ وَفَلَاحُهُ، وَذَلِكَ لِبُعْدِهِ عَنِ العِلْمِ بِمُوجِبِ الطَّبْعِ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ (الأحزاب/ ٧٢)، أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنَّ ذَلِكَ شَأْنُ الإِنْسَانِ بِمَا هُوَ إِنْسَانٌ؛ فَقَالَ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾، فَالقُصُورُ شَأْنُهُ، وَالظُّلْمُ طَبْعُهُ، وَالجَهْلُ جِبِلَّتُهُ، فَيَحِقُّ أَنْ يُلْهِيَهُ التَّكَاثُرُ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ رُوحَ الإِيمَانِ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إِلَىٰ آخِرِهَا، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ۝٣٧﴾ (النُّور/ ٣٧).

فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ طَبِيعَةَ الإِنْسَانِ دَاعِيَةٌ لَهُ إِلَى البَوَارِ، وَمُوقِعَةٌ لَهُ فِي الدَّمَارِ إِلَّا مَنْ عَصَمَ وَأَزَالَ عَنْهُ شَرَرَ نَفْسِهِ، فَكَأَنَّ هَذَا تَعْلِيلٌ لِـمَا سَلَفَ؛ إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَ فِي السُّورَةِ السَّالِفَةِ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ (التكاثر/ ١) صِفَةَ مَنِ اتَّبَعَ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ، وَجَرَىٰ مَعَ شَيْطَانِهِ حَتَّىٰ وَقَعَ فِي التَّهْلُكَةِ، وَهُنَا ذَكَرَ مَنْ تَجَمَّلَ بِأَجْمَلِ الطِّبَاعِ، فَآمَنَ بِاللهِ وَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ، وَتَوَاصَىٰ مَعَ إِخْوَانِهِ عَلَى الِاسْتِمْسَاكِ بِعُرَىٰ الحَقِّ، وَالِاصْطِبَارِ عَلَىٰ مَكَارِهِهِ.

فَقَدْ بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي سُورَةِ ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ سَبِيلَ النَّجَاةِ مِنْ هَذَا الخُسْرَانِ وَهَذِهِ الهَلَكَةِ الَّتِي بَيَّنَهَا فِي سُورَةِ ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾.

- أَمَّا **عَلَاقَتُهَا بِالسُّورَةِ الَّتِي بَعْدَهَا** سُورَةِ (**الهُمَزَة**)، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ (الهُمَزَة/ ١- ٩)؛ فَإِنَّ مَقْصُودَهَا بَيَانُ الحَزْبِ الأَكْبَرِ الخَاسِرِ الَّذِي أَلْـهَاهُ (**التَّكَاثُرُ**)، فَبَانَتْ خَسَارَتُهُ (يَوْمَ **القَارِعَةِ**) الخَافِضَةِ الرَّافِعَةِ؛ فَيُنْبَذُ ﴿فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤﴾ (الهُمَزَة/ ٤): ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦﴾ (الهُمَزَة/ ٦).

مَعَالِمُ السُّورَةِ:

فِي هَذِهِ السُّورَةِ القَصِيرَةِ ذَاتِ الآيَاتِ الثَّلَاثِ وَجِيزَةِ الأَلْفَاظِ، قَصِيرَةِ الفَوَاصِلِ؛ يَتَمَثَّلُ مَنْهَجٌ كَامِلٌ لِلْحَيَاةِ البَشَرِيَّةِ كَمَا يُرِيدُهَا ﷻ جَلَّجَلَالُهُ، وَتَبْرُزُ مَعَالِمُ التَّصَوُّرِ الإِيمَانِيِّ بِحَقِيقَتِهِ الكَبِيرَةِ الشَّامِلَةِ فِي أَوْضَحِ وَأَدَقِّ صُورَةٍ، إِنَّهَا تَضَعُ الدُّسْتُورَ الإِسْلَامِيَّ كُلَّهُ فِي كَلِمَاتٍ قِصَارٍ، وَتَصِفُ ﷺ الأُمَّةَ المُسْلِمَةَ: حَقِيقَتَهَا وَوَظِيفَتَهَا؛ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ الآيَةُ الثَّالِثَةُ مِنَ السُّورَةِ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ .. وَهَذَا هُوَ الإِعْجَازُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا ﷺ ..

وَالحَقِيقَةُ الضَّخْمَةُ الَّتِي تُقَرِّرُهَا هَذِهِ السُّورَةُ بِمَجْمُوعِهَا؛ هِيَ: إِنَّهُ عَلَى امْتِدَادِ الزَّمَانِ فِي جَمِيعِ الأَعْصَارِ، وَامْتِدَادِ الإِنْسَانِ فِي جَمِيعِ الأَدْهَارِ، لَيْسَ هُنَالِكَ إِلَّا مَنْهَجٌ وَاحِدٌ رَابِحٌ، وَطَرِيقٌ وَاحِدٌ نَاجٍ. هُوَ ذَلِكَ المَنْهَجُ الكَامِلُ لِلْحَيَاةِ البَشَرِيَّةِ كَمَا يُرِيدُهَا الإِسْلَامُ وَالَّذِي تَرْسِمُ السُّورَةُ حُدُودَهُ، وَهُوَ هَذَا الطَّرِيقُ الَّذِي تَصِفُ ﷺ السُّورَةُ مَعَالِمَهُ، وَكُلُّ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ ضَيَاعٌ وَخَسَارٌ ..

إِنَّهُ الإِيمَانُ، وَالعَمَلُ الصَّالِحُ، وَالتَّوَاصِي بِالحَقِّ، وَالتَّوَاصِي بِالصَّبْرِ..

❁❁❁❁❁❁

وَتُبْرِزُ السُّورَةُ مَعَالِمَ التَّصَوُّرِ الإِيمَانِيِّ بِمُقَوِّمَاتِهِ وَحَقِيقَتِهِ الكَبِيرَةِ الشَّامِلَةِ المُسْتَمَدَّةِ مِنَ اللهِ مُبَاشَرَةً؛ وَهِيَ بِذَاتِهَا مُقَوِّمَاتُ الإِنْسَانِيَّةِ الرَّفِيعَةِ الكَرِيمَةِ فِي أَوْضَحِ وَأَدَقِّ صُورَةٍ، وَذَلِكَ كُلُّهُ فِي كَلِمَاتٍ قِصَارٍ (عَشْرِ كَلِمَاتٍ فَقَطْ)، وَهَذَا هُوَ الإِعْجَازُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا ﷺ.

❁❁❁❁❁❁

إِنَّهَا (**الرَّبَّانِيَةُ**) الَّتِي تُحَدِّدُ الجِهَةَ الَّتِي يَتَلَقَّىٰ مِنْهَا الإِنْسَانُ تَصَوُّرَاتِهِ وَقِيَمَهُ وَمَوَازِينَهُ وَمَبَادِءَهُ وَاعْتِبَارَاتِهِ وَشَرَائِعَهُ وَقَوَانِينَهُ، وَكُلَّ مَا يَرْبِطُهُ بِالله، أَوْ بِالوُجُودِ، أَوْ بِالنَّاسِ. فَيَنْتَفِي مِنَ الحَيَاةِ الهَوَىٰ وَالمَصْلَحَةُ، وَتَحِلُّ مَحِلَّهُمَا شَرِيعَةُ الله وَالعَدَالَةُ الحَقَّةُ.